حكم تسعير السلع

د . صبري عبدالرؤوف

مفهوم التسعير: هو السعر الذي يقوم عليه الثمن . ويقال: سعّر الرجل السلعة أي جعل لها سعراً، ووحّد سعر السلعة بحيث تباع بسعرٍ واحدٍ، فيقدر ثمن معين للسلع والخدمات تقديراً عادلاً من قبل الحاكم أو من يقوم مقامه وإلزام الناس بهذا السعر المحدد وإجبارهم على التبايع بما تم تحديده من الجهات المختصة .

وهذا معناه أن الحاكم عليه أن يتدخل لوضع سعر معين بحيث لا يتجاوز الناس هذا السعر . ويمكن لنا أن نوضح هذا المعنى في الأمور التالية:

١ إن تقدير الثمن يجب أن يكون ممن يملك سلطة التقدير، وهذه السلطة في عصرنا تتمثل في القائمين على التجارة أو الغرفة التجارية أو أي جهة يناط بها سلطة تقدير الأسعار .

٢ إن تحديد السعر يجب أن يكون عادلاً ليس فيه إجحاف بالمجتمع ولا بالمستهلك وإلا كان ظالماً .

٣ يجب أن يكون تقدير السلعة بثمن معين ملزماً لكل الناس بلا استثناء، وبحيث يحاسب كل من يبيع بسعر مخالف ويمنع من ذلك، لا فرق في ذلك أن يكون البيع بسعر أقل أو أكثر . والحكمة في منعه من البيع بثمن أقل: عدم إلحاق الضرر بالذين يتعاملون بالسلع نفسها ولا يرغبون في بيعها بثمن أقل من الثمن المحدد لها . إذ إنه من القواعد المقررة في أمور التجارة شرعاً مراعاة حال البائع والمشتري . وأما الحكمة من منعه من البيع بثمن أعلى من الثمن المحدد فهي أن هذه الزيادة نوع من الظلم الذي يجب أن يمنع فاعله .

حكم التسعير

أما عن الحكم الشرعي لتسعير السلع فإن الفقهاء ذهبوا في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: ذهب إليه جمهور المالكية والشافعية والحنابلة، وقالوا بعدم جواز تسعير السلع، لا فرق في ذلك بين الحالات العادية أو في حالات الغلاء .

القول الثاني: ذهب إليه فقهاء الحنفية وبعض المالكية وابن تيمية وابن القيم من متأخري الحنابلة، وهو أيضاً المنقول عن الإمام سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهؤلاء جميعاً قالوا: يجوز التسعير في حالات الغلاء وارتفاع الأسعار .

وبهذا يتبين لنا أن الفقهاء اختلفوا في هذه المسألة، وكي يستطيع الإنسان أن يستفتي قلبه فلا بد من أن يكون عالماً بالأدلة التي استند إليها هؤلاء، ولهذا نجمل أقوالهم في ما يأتي:

استدل أصحاب القول الأول، وهم جمهور المالكية والشافعية والحنابلة، الذين قالوا بعدم جواز التسعير، بأدلة متعددة من كتاب الله عز وجل وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدلوا أيضاً بالمعقول، فقد استدلوا أولاً بما جاء في سورة النساء:

"يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم" .

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة أنها تفيد حرية البيع والشراء، وقد اشترطت لصحة البيع التراضي بين البائع والمشتري، فلو ألزم البائع بسعر معين انتفى هذا التراضي وكان البيع مشوباً بالإكراه وكأن المشتري قد أكل مال البائع بالباطل . ومعنى الآية: لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل أي بما لم تبحه الشريعة، كالربا والميسر والرشوة والغصب والسرقة والخيانة وما جرى مجرى ذلك من صنوف الحيل، لأن الآية اشترطت التراضي، والتسعير لا يحقق التراضي، فدلت الآية على عدم جواز التسعير .

واستدلوا ثانياً بما جاء في سنن أبي داود حيث روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: غلا السعر على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله لو سعرت؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إن الله هو القابض والباسط والرازق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبني أحد في مظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال" .

ووجه الدلالة في هذا الحديث النبوي الشريف أنه يدل على حرمة التسعير لأن الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع عن التسعير، مع أن الصحابة الكرام طلبوه منه عليه الصلاة والسلام، وتكرر هذا المطلب منهم ومع ذلك لم يجبهم إلى ما طلبوا، فلو كان التسعير جائزاً لأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طلبهم، فلما لم يجبهم ما طلبوا فهذا يدل على عدم جواز التسعير شرعاً، واستدلوا أيضاً بما جاء في مسند الإمام أحمد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه"، ووجه الدلالة في هذا الحديث النبوي الشريف أن البائع قد ألزم بسعر معين لم تطب نفسه به، فلا يحل للمشتري أن يأكل مال أخيه بغير طيب نفس منه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم جواز التسعير .

واستدلوا بالمعقول فقالوا:

١ إن التسعير سبب الغلاء، لأن من عنده سلع من تجار البلد سوف يمتنع عن بيعها ويقوم بإخفائها فيطلبها الناس فلا يجدونها، وحينئذ ترتفع الأسعار وتظهر السوق السوداء، وهذا ضرر عام يشمل المستوردين والتجار وأصحاب الحاجات والمنتجين والمستهلكين على حد سواء .

٢ إن الناس مسلطون على أموالهم بما لهم عليها من حق الملكية، فلهم حرية التصرف في ما يملكون، وفي التسعير حجر عليهم، وهذا لا يجوز من الناحية الشرعية .

الرأي الآخر

استدل أصحاب القول الثاني الذين قالوا، بجواز التسعير عند الغلاء بما جاء في صحيح الإمام مسلم عن سيدنا جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض" .

وجاء أيضاً في صحيح مسلم أن رجلاً كانت له شجرة في أرض رجل آخر، فكان صاحب الأرض يتضرر بدخول صاحب الشجرة، فاشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول أن يقبل بدلها أو يتبرع له فلم يفعل، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب الأرض بقلع الشجرة وقال لصاحب الشجرة: أنت مضار . وهذا كله يؤكد لنا جواز التسعير، لأن عدم التسعير فيه ضرر، والشريعة الإسلامية قائمة على قاعدة عامة هي "لا ضرر ولا ضرار" .

وهؤلاء استدلوا بالمعقول، فقالوا:

١ إن تقدير السلع بثمن معين فيه مصلحة للناس ويكمن في عدم التسعير ضرر ودفع الضرر أمر واجب . لأن الضرر منهي عنه وبهذا نرى أنه من مصلحة الجماعة تسعير السلع لكي تتحقق المصلحة العامة . ولهذا كان تسعير السلع والخدمات أمراً جائزاً .

٢ القول بجواز التسعير عند الغلاء وتجاوز التجار يحقق مصلحة الأمة ويحمي الناس من جشع التجار واستغلالهم .

٣ القول بجواز التسعير فيه سد للذرائع، فترك الناس في البيع والشراء من دون تحديد ثمن معين أمر مباح أصلاً، إلا أنه يؤدي إلى الجشع والاستغلال والتحكم في ضرورات الناس وهذا ذريعة إلى الحرام، وما يؤدي إلى الحرام فهو حرام، ولهذا كله كان التسعير جائزاً، فكل شيء يؤدي إلى الظلم والفساد وإلحاق الضرر بالناس يجب أن يزال وكي يزال الضرر لابد من منع الناس من ظلم بعضهم بعضاً .

لقد تبين لنا من خلال الأدلة السابقة أن كل فريق من الفقهاء استند إلى أدلة واضحة، ولكنه نظر إلى التسعير نظرة معينة .

فإذا رأينا بعد ذلك إنساناً استفتى قلبه وأخذ بأي القولين فلا حرج عليه في ما أخذ به، ما دام قلبه قد اطمأن إلى قول من القولين، لأنه لا يكون آثماً طبقاً للقاعدة العامة: "لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه" .

● أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر

فتاوى

في هذه الزاوية يجيب فضيلة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني عن العديد من التساؤلات التي تواجه عامة المسلمين..
لإرسال اسئلتكم على بريد الصحيفة أو فاكس رقم (٠١/٣٣٢٥٠٥) ملحق «الدين والحياة».

السائل (ع.أ.ك) من منطقة بني بهلول بعث بسؤال يقول فيه: ما قول علمائنا الأفاضل في بركة ماء تمتلئ بمياه الأمطار وعمقها) ٦ (أمتار وعرضها كذلك وهي قديمة جداً ومحسنة، وفي هذه السنة فاضت منها مياه الأمطار ولم يحدث فيها تغيير في لونها أو شمها أو طعمها، ولكن شخصاً أفادنا أن مياه هذه البركة لا يجوز استعمالها لأنها متنجّسة، نطلب منكم افتاءنا في ذلك بإجابة شافية؟

– الجواب: الماء طهور لا ينجس إلا إذا تغير طعمه أو لونه أو شمه بنجاسة تحدث عليه، لاسيما وهذه البركة طولها حوالي ستة أمتار وعمقها ستة أمتار وقد امتلأت من ماء المطر إلى أن فاض الماء من أعلاها أكثر من مرة فهو إذن طاهر مطهّر ما لم يتغير شمه أو طعمه أو لونه من كثرة استعماله، فإذا تغير الشم أو الطعم أو اللون من كثرة الاستعمال صار غير طاهر وغير مطهر لغيره .. فمن قال لك أو لغيرك أن هذه الماء نجس من بعد أن امتلأت البركة عقب الأمطار حتى فاض الماء من أعلاها ولم يكن طعم الماء أو شمه أو لونه أيضاً قد تغير بهذا السبب فلا تصدقوه وقولوا له إن الأصل الطهارة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الماء طهور) اللهم إلا إذا قد تغير شمه أو طعمه أو لونه فقد أصبح غير طاهر وغير مطهر لإجماع علماء المسلمين على القول بنجاسته بتغير الشم أو الطعم أو اللون، وهذا هو المنصوص عليه في كتب الفقه وشروح كتب الحديث وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن الماء الذي في (بئر بضاعة) أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى بجوارها الحيض ولحوم الكلاب والنتن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الماء طهور لا ينجسه شيء) أخرجه أبو داوود وأحمد والترمذي وحسنه وصححه أحمد ويحيى بن معين وابن حزم والحاكم وفي رواية أحمد وأبي داوود أن يستقي من بئر بضاعة وهي تطرح فيها محايض النساء ولحم الكلاب وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الماء طهور لا ينجسه شيء) قال أبو داوود سمعت قتيبة ابن سعيد قال سألت قيّم بئر بضاعة عن عمقها، قلت أكثر ما سيكون فيها الماء قال إلى العانة، قلت فإذا نقص قال دون العورة قال أبو داوود وقدرت بئر بضاعة بردائي فمددته عليها فإذا عرضها ستة أذرع، وسألت الذي فتح لي باب البستان فأدخلني إليه هل غيّر بناؤها عما كان عليه. فقال: لا ورأيت فيها ماء متغير اللون.

قال شرّاح الحديث عند شرحهم لقوله وهي تطرح فيها محايض النساء المراد أن الناس كانوا يضعون الأقذار بجانب البئر وأن الأمطار كانت تسوقها إلى البئر استبعاداً منهم أن يجرى ذلك من السلف والكلام حول الموضوع طويل وخلاصته أن الماء الكثير طهور إلا إذا قد تغير أحد أوصافه الثلاثة بنجاسة تحدث فيه فقد يصير متنجساً، أما إذا لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة بنجاسة تحدث فيه فقد يصير متنجساً، أما إذا لم يتغير أحد أوصافه فهو طاهر مطهّر والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

إعداد/ عبداللطيف حزام الصعر

بر الوالدين

عبد السلام الحربي

■ يقول الله سبحانه وتعالى (وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احداهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) صدق الله العظيم.

هذه الآيات من كتاب الله العزيز جاءت للتعريف بفضل ومكانة الأبوين وكيفية البر بهما الذي قرنها الله عز وجل بطاعته واعتبر أن طاعة الوالدين من طاعة الله سبحانه وتعالى وليعلم جميع الأبناء أن الإسلام جعل للوالدين حق البر واللطف والرعاية والرحمة وأكد أن هذا الحق مقروناً بطاعته سبحانه وتعالى لما له من الإجلال والوفاء والمكانة في أوساط المجتمع البشري الذي يتوجب على كل الأبناء القيام بواجبهم تجاه الأبوين في الطاعة والاحسان والتعامل معهم بكل إخلاق ولطف وأن لا يسمعهما قولاً سيئاً أو التأفف منهم لأن ذلك أدنى مراتب القول السيء وأن يقول لهما قولاً طيباً لأنهما هما السبب في وجود الإنسان ولهما على الأبناء غاية الإحسان الوالد بالانفاق والوالدة بالأشفاق لأنها من حملتك في بطنها تسعة أشهر وقاست وتعبت في حملها بك وعانت من الوحم والغثيان وغير ذلك من الآلام.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أرتقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر درجة فقال : آمين ، ثم أرتقى الثانية فقال :آمين ثم أرتقى الثالثة فقال : آمين ثم أستوى فجلس فقال أصحابه على ما آمنت؟ فقال أتاني جبريل فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه عند الكبر إحداهما أو كليهما فلم يدخل الجنة.

■أن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى ثلاثة وحرم الجنة على ثلاثة منهم العاق لأبويه الذي من خلاله يجب على جميع الأبناء أن يعرفوا أن رضاء الوالدين من رضاء الله وسخطهما من سخط الله عز وجل ..وما تلك الآيات والأحاديث النبوية التي جاءت في ذكر بر الوالدين وطاعتهما والأخلاص في طاعتهم الا خير دليل على فضل ومكانة الأبوين في واجب الطاعة والإحسان اليهم من قبل الأبناء وأنهم إذا شبوا على الطاعة والبر بالأبوين فانهم سيحافظون على طاعة الله عز وجل وسيعملون على التمسك بكتابه الكريم وبسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأداء الصلاة في أوقاتها والبر والإحسان بالوالدين وأن لا يؤذيهما ولا يقول لهما قول يغضبهم ويغضب الخالق عز وجل وأن لا يعصيهما لأن عقوق الوالدين تحبط الثواب والأعمال وتضيع الحسنات الدنيوية والأخروية التي لا يجد الأبن العاق ما يقيه من العذاب يوم القيامة.

متابعات.. متابعات..

دراسة حديثة حول أوضاع مسلمي الهند

كشفت إحدى الدراسات الحديثة التي أعدها مركز جالوب حول أوضاع مسلمي الهند، الذين يبلغ تعدادهم السكاني ١٤٠ مليون نسمة – أن قرابة ثلث المسلمين يعانون الظروف السيئة وقلقون بشأن أوضاعهم المستقبلية، وأن ٤٧٪ أكدوا صعوبة إقامة العيش على الدخول المنخفضة، وخاصة في ظل زيادة عدد أفراد الأسرة المسلمة، إضافة إلى أن الأقلية المسلمة تضاعفت ٢٠٠ ٪ في العقود الأربعة الأخيرة.

وقد استشهدت الدراسة بفقرات من تقرير لجنة ساشر حول أوضاع المسلمين، الذي أشار إلى تأثير الهوية الإسلامية على ممارسات المسلمين الحياتية اليومية، التي تشمل حالات التعاملات المادية والتعليم، إضافة إلى أن المسلمين دون خط التمثيل في القطاعين العام والخاص.

نيجيريا: نائب الرئيس يطالب المسلمين بنشر روح السلام والتسامح

شهد احتفال المسلمين في نيجيريا بإنشاء صندوق وقف جمعية الطلاب المسلمين دعوة محمد نمادي سامبو – نائب الرئيس النيجيري – المجتمع الإسلامي بالتمسك بالتعاليم الإسلامية النبيلة ونشر روح التسامح لدعم السلام بالبلاد.

وقد أشار مسؤول الشؤون الإسلامية طاهر عمر طاهرو أن المؤسسة الأكاديمية التعليمة التي ستكلف مليون نيرة نيجيرية ستسعى لزيادة الوعي والمعرفة الإسلامية، إضافة إلى دعوة الشيخ إبراهيم شيكارو المسلمين لعدم الاقتصار على أداء الشعائر فقط دون التزام القيم والعيش المشترك.

ماليزيا: امرأة تحصل على جائزة أفضل داعية

حصلت إيمي صوفيا (٢٥ عامًا) – الحاصلة على مؤهل عال في الدراسات القرآنية – على جائزة أفضل داعية في نهاية فعاليات برنامج صالحات، الذي تضمن منافسات بين العديد من الدعايات الشابات؛ حيث استضاف البرنامج قرابة ٦٠٠ داعية تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ و٣٠ عامًا.

وقد أشارت الفائزة بالجائزة إلى أنها تتمنى أن يساهم ذلك في اتساع رقعة الوعظ النسائي في المجتمع، وتشجيع النساء على الانخراط في المجال الدعوي، وتتضمن الجائزة شهادة تقدير ورحلة حج وسيارة و١٠ آلاف دولار.

الإسلام سيسود أوروبا بنهاية القرن الحالي

نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية عبر موقعها الإليكتروني مقالاً افتتاحيًا بعنوان مستقبل الإسلام في أوروبا، يؤكد كاتبه فيه أنه إذا ما استمر وضع نمو المظاهر الإسلامية في أوروبا بالدرجة المشاهدة ذاتها، فإنه من المتوقع أن تتحول أوروبا كلها للإسلام بحلول نهاية القرن الحالي.

فقد أشار المقال إلى أن مظاهر الإسلام تنمو بالعديد من المدن والمجتمعات الأوروبية مثل بلجيكا – خاصة مدينتي بروكسل وأنتويرب – وكذلك المملكة المتحدة وهولندا وغيرها من البلاد الأوروبية؛ حيث يعد الإسلام أكثر الديانات ممارسة، وتعاليمه الأكثر من حيث تمسُّك معتنقيه بها في ظل ازدياد بناء المساجد والمراكز الإسلامية، وتراجع النصرانية على المستوى المجتمعي والمؤسسي.

بوسني مسلم يسير 6000 كيلومتراً على الأقدام ليحج في مكة

سيقطع البوسني المسلم سناد هادزيتش (٤٧ عاما) مسافة تزيد على ٦٠٠٠ كيلومتر سيرا على الأقدام إلى مكة المكرمة ليؤدي فريضة الحج، وذلك في رحلة تستمر لمدة عام كامل.

وقرر سناد أخيرا أن يحج سيرا على الأقدام معتمدا على ضيافة أهل الخير خلال السفر، بسبب أنه لا يعمل فلم يستطع تحقيق حلمه بأداء فريضة الحج لعجزه عن تدبير تكاليف السفر،حسبما ذكرت رويترز.

وقال سنادخطتي هي أن أعبر بلادنا الصغيرة الأبية البوسنة والهرسك ثم صربيا ثم بلغاريا وتركيا وسورية المحفوفة بالمخاطر بعض الشيء لكني لست خائفا بفضل الله ثم الأردن وإن شاء الله سأصل إلى مكة وأتمكن من زيارة قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وأكد سناد أنه لا يحمل أي طعام أو ماء. وقال يسألني الناس عما أحمله في حقيبة الظهر. لا يوجد لحم ولا نقانق ولا حتى ماء. قربتي لاتزال فارغة. أنا أحمل الإيمان. استمد قوتي من الإيمان.

وأوضح في هان بيزاك أقمت في منزل أستاذ للرياضيات.. لن أذكر اسمه.. أعد أسماكا لعشائي. كان الأمر أفضل من أي مطعم ذي أربعة نجوم. استقبلني بترحيب حار وعانقني وتمنى لي القوة لئلا أستسلم وأحقق النجاح.. الناس في القرى يخاطبونني ويقدمون إلى تفاحا وفطائر. بدأت الرحلة دون تخطيط يذكر. الله يطعم الطيور وآمل أن يطعمني أيضا.

متابعات/ خالد الأكوع